تخطيط مدينة الحلة وتطورها العمراني 495-738هـ/1101-1337م

أ.د. محمد ضايع حسون د. عامر عجاج حميد

كلية التربية الأساسية/ جامعة بابل

Design of the City of Hilla and its Architectural Development 495-738 hegira / 1101-1337 A.D

Prof. Dr. Muhammad Dhayi Hassoon Dr. Amir Ajaj Hameed
College of Basic Education / University of Babylon

Abstract

The paper tackles the design of the city of Hilla and its architectural development from its establishment up to the end of the Mongolian era in Iraq. Al-Hilla had witnessed throughout this period noticeable expansion in its administrative institutions and its architecture, not to mention its religious and commercial importance. The study is divided into two parts; the first involves the historical roots of the city and the cause for its name whereas the second studies the design of the city and its architectural development.

المقدمة

تناول البحث دراسة تخطيط مدينة الحلة وتطورها العمراني منذ تأسيسها حتى نهاية العصر المغولي للعراق، إذ شهدت الحلة خلال هذه المدة توسعاً ملحوظاً في مؤسساتها الإدارية ومنشآتها العمرانية فضلاً عن أهميتها الدينية والتجارية.

قسمنا هذه الدراسة على مبحثين تناول المبحث الأول الجامعين والحلة الجذور التاريخية للموضع والتسمية، أما المبحث الثاني فقد خصص لدراسة تخطيط مدينة الحلة وتطورها العمراني وقد تناولنا أقسام المدينة فتحدثنا عن المحلات والشوارع والأسواق والخندق والسور، كذلك بينا أهم المنشآت الدينية ودار الإمارة وجسر الحلة وقصر الخليفة المستعصم بالله والمارستان فيها، وقد حددنا بعض مواقع هذه الأقسام اعتماداً على الإشارات القليلة التي وردت في المصادر.

اعتمد البحث عدداً من المصادر كان معظمها يمتاز بمعاصرته للمدة التي تناولت هذه الدراسة أو قريبة منها كان أبرزها كتاب (المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية) للشيخ أبي البقاء هبة الله بن نما الحلي (كان حياً عام 565هـ/ 1169م) وكتاب (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم) لابن الجوزي (ت597هـ/1201م) وكتاب (الكامل في التاريخ) لابن الأثير (ت630هـ/1232م) وكتاب (الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في أعيان المائة السابعة) لمؤلف مجهول وينسب لابن الفوطي وهو يعد من المصادر المهمة ففيه معلومات قيمة عن أحوال مدن العراق ومنها مدينة الحلة.

ومن كتب الجغرافية كتاب(معجم البلدان) لياقوت الحموي(ت626هـ/1228م) الذي أمدنا بمعلومات مهمة عن موقع مدينة الحلة والكثير من المناطق التابعة لها، أما كتب الرحلات فأهمها رحلتا ابن جبير (ت614هـ/1217م) وابن بطوطة (ت779هـ/1377م) وتضمنت الرحلتان معلومات قيمة عن الموقع الجغرافي للمدينة وأوضاعها الاقتصادية وتركيبة السكان فيها، كما اعتمد البحث بعض المراجع التي فيها معلومات قيمة عن مدينة الحلة أهمها كتاب(تاريخ الحلة) للشيخ يوسف كركوش الحلي و(دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية) للدكتور عبد الجبار ناجي وبحث الدكتور عماد الدين خليل بعنوان (ملاحظات في خطط الحلة حتى الحكم الجلائري) وغيرها.

المبحث الأول: الجامعين والحلة، والجذور التاريخية للموضع والتسمية

1- الجامعين:

الجامعين مثنى لكلمة جامع، وتشير الروايات إلى أن أصل هذه التسمية يرجع إلى وجود جامع قديم ثم بني جامع آخر، وذكر البلاذري ان خالد القسري حفر نهراً سماه نهر الجامع [1]، وان هذا النهر قريب من الكوفة فربما كان الجامع

(1) البلاذري، احمد بن يحيى (ت279هـ/892م)، فتوح البلدان، منشورات مكتبة الهلال، بيروت، 1988م، ص280.

قريباً منها أيضاً، وذكر اليعقوبي ان جيش المأمون التقى بأبي السرايا بموضع يقال له الجامع بين بغداد والكوفة[1]، وكذلك ورد ذكر هذا الموضع في أحداث عام 196هـ/811م عندما وجه الخليفة الأمين جيشه إلى قصر ابن هبيرة لأن عامله على الكوفة قد بايع المأمون فقال لهم اختصروا الطريق إلى فم الجامع فانه موضع سوق ومعسكر[2]، مما يدلل ان الجامع كان قريب من قصر ابن هبيرة، ويحتمل أن يكون هذا الجامع هو الذي سمي بعد ذلك بالجامعين.

ذكر سهراب ان نهر سورا[3] يمر بالجامعين المحدث والقديم، فالجامع القديم ما أشارت له المصادر الأولية أما الجامع الحديث فيقع إلى الشمال من الجامع القديم لأن النهر يمر به أولاً[4].

تعد الجامعين (نواة الحلة) ولم تزودنا المصادر التاريخية باسم الذي اختطها أو الجماعة التي كانت تقطنها في المدة التي سبقت تمصير الحلة المزيدية، ولكنها أجمعت على أن للجامعين وجوداً تاريخياً وعمرانياً واقتصادياً واجتماعياً في ذلك الموضع[5]، ولهذا يمكن القول أن بداية تأسيسها يعود إلى وجود جامع قديم في هذه المنطقة يرجع إلى النصف الأول من القرن الأول والثاني ثم انشأ بعده جامع حديث ولهذا سميت بهذا الاسم[6]، أما موقعها فأنها تقع في الجانب الغربي من الفرات[7].

إن الجامعين بلدة عامرة وهي أكبر من أن تكون قرية، وعلى ما يبدو هي بلدة تشرف على إقليم زراعي واسع، فضلاً عن انها كانت من المراكز المدنية والإدارية في تلك المدة، فقد وصفها الاصطخري بانها " منبر صغير حواليها رستاق عامر خصب جداً"[8]، وذكر ابن حوقل ان الجامعين تمتد حتى تحادد نواحي المدائن[9]، وفي ذلك إشارة إلى سعتها وسيطرتها على الإقليم الزراعي المجاور لها، وأشار المقدسي إلى انها أي (الجامعين) إحدى مدن الكوفة[10]، وكانت الجامعين من المراكز الإدارية ففيها دار للقضاء وكان الحسن بن علي بن محمد بن داود التنوخي قاضياً فيها في القرن الرابع الهجري، [11]وذلك إشارة لكثرة سكانها وسعة أعمالها إلى درجة أنها أصبحت بحاجة إلى قاضٍ لإدارة شؤونها الداخلية وتنظيمها، وان مثل هذه الإجراءات الإدارية اعتاد العرب المسلمون تنظيمها في المدن.

2- الحلـة

أ-التسمية والموقع:

الحلة بالكسر ثم التشديد وهي في اللغة القوم النزول وفيهم كثرة وجمعهم حلال، وقيل أن اسمها منسوب إلى شجرة شائكة أصغر من العوسج[12]، وان المعنى الاصطلاحي للحلة قد ارتبط بالقوم النزول أي الأمير صدقة المزيدي وإتباعه، ولم تطلق على هذا الموضع مثل هذه التسمية من قبل فكانت بداياتها منذ تمصيرها.

(1) اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب بن جعفر (284هـ/897م)، تحقيق عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1993م، ج2، ص400.
(2) الطبري، محمد بن جرير (ت310هـ/922م)، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق عبد الأمير مهنا، منشورات الاعلمي، بيروت، 1988م،ج7، ص357.
(3) نهر سورا: ويقال سوراء من نواحي الكوفة. ينظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبد الله (ت626هـ/1228م)، معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت، 1995م، ج5، ص321.
(4) عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة، نشرها هانس فون، مطبعة أدولف هولنز، فينا، 1929م، ص125.
(5) الطبري، تاريخ، ج7، ص357؛ الأصطخري، إبراهيم بن محمد (ت346هـ/957م)، مسالك الممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال، مطابع دار العلم، القاهرة، 1961، ص60؛ ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي (ت367هـ/977م)، صورة الأرض، مطبعة شريعت، قم، 1428هـ، ص245.
(6) البلاذري، فتوح البلدان، ص280.
(7) ابن حوقل، صورة الأرض، ص245؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص294؛ سهراب، عجائب الأقاليم، ص25.
(8) مسالك الممالك، ص60.
(9) صورة الأرض، ص245.
(10) شمس الدين ابو عبدالله محمد بن أحمد (ت387هـ/997م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، نشر دي غويه، ط2، بريل،ليدن،1906م، ص53، ص114.
(11) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مطبوعات دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت، ج17، ص92-93؛ الحلي، يوسف كركوش، تاريخ الحلة، المطبعة الحيدرية، النجف، 1965م، ج1، ص2.
(12) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص294.

عرفت الحلة باسم الحلة السيفية نسبة إلى مؤسسها سيف الدولة أبي الحسن صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الأسدي[1]، وكذلك بالحلة المزيدية نسبة إلى جدهم مزيد بن مرشد الاسدي [2]، وسميت أيضاً بالفيحاء لسعتها وخصوبة ترتبتها، وقد ورد اسم الفيحاء كثيراً في شعر صفي الدين الحلي (ت750هـ/ 1349م) ومنه قوله :

مَن لم تَرَ الفيحاءَ مُقلته فانه في انقضاء العُمر مَغبون

أرض لها سائر الأهوال قد جمعت كما تجمع فيها الضّب والنون[3]

أما موقع مدينة الحلة فانها تقع في الجانب الغربي من نهر الفرات في القسم الأوسط من العراق بين مدينتي بغداد والكوفة، فالحلة تقع على خط عرض 29–32 درجة شمالاً، وخط طول 26–44 درجة شرقاً[4]، كما انها تتمتع بموقع مهم على طريق القوافل التجارية الذي يربط بين مدن البصرة والكوفة وواسط وبغداد، فضلاً عن موقعها على طريق الحجاج الذين يأتون من بغداد ويقصدون الديار المقدسة لأداء مناسك الحج[5]، وتمتع موقع الحلة بكثرة المياه وعذوبتها حيث صار نهر الفرات المصدر الرئيس الذي يزود المدينة بالمياه ، ويروي هذا النهر الأراضي الزراعية الواقعة على جانبيه من خلال كثرة الأنهار المتفرعة منه[6]، وقد وصفها الاصطخري بأنها قرية زراعية حولها رستاق خصب جداً[7]، ولوفرة مياه نهر الفرات وغزارته كان يجلب مع مياهه مواداً غرينية ساعدت على زيادة خصوبة الأرض وكثرة المزروعات وازدهار الحياة الاقتصادية [8].

ب– تمصير الحلة:

تشير الروايات التاريخية ان الأمير صدقة بن منصور الاسدي (ت501هـ/1107م) هو الذي مصر مدينة الحلة عام 495هـ/1101م[9]، وهناك رواية تفيد ان سيف الدولة صدقة عمّر أرض الحلة التي هي آجام عام 493هـ/ 1099م ووضع الدور والأبواب ونزلها عام 495هـ/ 1101م وحفر الخندق عام 498هـ/1105م ووضع سور الحلة عام 500هـ/ 1107م[10].

وتبدو هذه الرواية أكثر وضوحاً من الروايات السابقة التي تشير ان تاريخ بناء الأمير صدقة لمدينة الحلة عام 495هـ/1101م في حين ان هذه الرواية تعطينا تفصيلاً أكثر دقة من حيث اشارتها إلى تاريخ مباشرته في بناء المدينة ثم نزوله فيها واتباعه فيما بعد وإلى حفره خندقاً حولها ووضعه السور على محيط المدينة.

(1) الحلي، الشيخ الرئيس أبو البقاء هبة الله بن نما (كان حياً عام 565هـ/1169م)،المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، تحقيق صالح موسى درادكه ومحمد عبد القادر خريسات، مطبعة الشرق، عمان، 1984، ج1، ص362؛ ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد بن ابي بكر (ت681هـ/1283م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، د. ت، ج2، ص490.

(2) السمعاني، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد (ت562هـ/1166م)، الانساب، صححه وعلق عليه عبد الرحمن بن يحيى، حيدر آباد، 1962م، ج1، ص214؛ القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي (ت 821هـ/ 1418م)، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق علي الخاقاني، مطبعة النجاح، بغداد، 1958م، ص383.

(3) عبد العزيز بن سرايا بن علي (ت750هـ/1349م)، ديوان صفي الدين الحلي، دار بيروت، بيروت، 1962م، ص208؛ ناجي، عبد الجبار، الإمارة المزيدية، دار الطباعة الحديثة، البصرة، 1970م، ص258.

(4) الخطيب، صباح محمود، مدينة الحلة الكبرى وظائفها وعلاقاتها الإقليمية، مطبعة المنار، بغداد، 1979م، ص11.

(5) لسترانج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، 1945، ص7؛ فهد، بدري محمد، تاريخ أمراء الحج، مجلة المورد، العدد الرابع، مطبعة دار الجاحظ، بغداد، 1973م، ص197.

(6) المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين (ت346هـ/ 957م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 2000م، ج1، ص111؛ سهراب، عجائب الأقاليم، ص124-125.

(7) مسالك الممالك، ص60.

(8) كربل، عبد الإله رزوقي، خصائص التربة وتوزيعها الجغرافي في محافظة بابل، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، العدد السادس، لسنة 1972م،ص120.

(9) ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت597هـ/1201م) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، الدار الوطنية، بغداد، 1990م، ج9، ص132؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص294؛ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ (ت630هـ/1232م)، تحقيق عمر عبد السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، 2006م، ج8، ص480؛ الذهبي، أبو عبدالله محمد بن احمد (ت748هـ/1348م)، دول الإسلام، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1985م، ص258؛ الحلي، تاريخ الحلة، ج1، ص15.

(10) ابن المطهر، رضي الدين علي بن يوسف (ت710هـ/1310م)، العدد القوية لدفع المخاوف اليومية، تحقيق مهدي رجائي، مطبعة سيد الشهداء، قم، 1408هـ، ص 259-260.

اقتطع المزيديون الأراضي وشيدوا المساكن لعناصر جيش الأمير صدقة الذي كان يتكون من العرب والأكراد فانشئت محلتان سكنيتان أحدهما للعرب في الطرف الجنوبي (الجامعين) وأخرى في الطرف الشمالي للأكراد، ثم أمر صدقة ببناء السور الذي يحيد المدينة عام 500هـ/1116م، وكان ذلك في الجانب الغربي وبهذا فان النمو في هذه المرحلة اقتصر على الجانب الغربي من المدينة ولم يتعد الجانب الشرقي الذي ظل إقليماً زراعياً[1].

لقد ساعد وجود الإمارة المزيدية في الحلة على نموها وازدهارها في شتى المجالات العمرانية والدينية والبشرية والاقتصادية، إذ شهدت المدينة خلال حكم هذه الأسرة رغم طابعها البدوي مدة من الهدوء والاستقرار مهدت لنمو مرافقها المختلفة[2]، وعلى الرغم من الانجازات التي حققها المزيديون في المدينة على الصعيد العمراني إلا ان اغلب التطور الذي صاحب مدينة الحلة جاء في عهد الخلفاء العباسيين إذ قام الخليفة الناصر لدين الله جسراً يربط جانبي المدينة وكان ذلك في عام 580هـ/1184م[3]، وان قيام الجسر كان العامل المباشر في زيادة نمو المدينة، فقد سهل عملية وصول المنتجات الزراعية من الإقليم الزراعي في الجانب الشرقي وشجع على جذب طريق الحجاج من مدينة قصر[4] ابن هبيرة باتجاه الحلة ثم الكوفة الذي يتميز بكونه أقصر مسافة وأكثر وفرة لمحطات الاستراحة للحجاج والقوافل التجارية، وأخذت الحلة بالنمو والاتساع مع زيادة أهميتها التجارية والاقتصادية حتى وصفها ابن جبير في آخر القرن السادس الهجري بقوله: " ولهذه المدينة أسواق حفيلة للمرافق المدينة والصناعات الضرورية" [5]، وكذلك وصفها ابن بطوطة بأنها " كثيرة العمارة" [6]، وكان ذلك في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، وبعد احتلال بغداد عام 656هـ/1285م على يد المغول[7] تسلل عدد من سكانها إلى الحلة والكوفة، ولم تتعرض لأية أضرار كما حصل في بغداد ومدن العراق الأخرى على يد القوات المغولية وذلك لقيام أهلها بمفاوضة هذه القوات ودخول المدينة بطريقة سلمية حتى غادروها متوجهين نحو واسط[8].

المبحث الثاني

أولاً- تخطيط المدينة

1- المحلات:

ليس لدينا معلومات وافية عن تخطيط مدينة الحلة ولكن يظهر أنها تطورت على حساب الجامعين التي كانت لها خططها ومعالمها الواضحة[9].

لقد مرت المحلة السكنية في الحلة بأدوار عديدة تبعاً لعمر المدينة والأدوار التاريخية التي طرأت عليها من حيث الركود والنشاط، وهذا ما انعكس على مساحة المحلة السكنية وعدد سكانها وطراز البناء فيها، في المرحلة الأولى من عمر المدينة (مرحلة الظهور والنشأة) والتي تبدأ بظهور الجامعين وحتى تأسيس الحلة المزيدية عام 495هـ/1102م، وان مسوغ

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص236؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص294.
(2) خليل، عماد الدين، ملاحظات في خطط الحلة حتى الحكم الجلائري، مجلة آداب الرافدين، العدد (4)، الموصل، 1972م، ص36- 37.
(3) ابن جبير، أبو الحسن محمد بن احمد الكناني (ت614هـ/1217م)، رحلة ابن جبير، دار الكتاب اللبناني، د.ت، ص154- 155.
(4) مدينة كبيرة تقع بين بغداد والكوفة بناها والي العراق يزيد بن عمر بن هبيرة فكتب إليه مروان بن محمد يأمره باجتناب مجاورة أهل الكوفة فتركها وبنى قصره المعروف بقصر ابن هبيرة بالقرب من جسر سورا. البلاذري، فتوح البلدان، ص281؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص365.
(5) ابن جبير، الرحلة، ص154.
(6) شمس الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله اللواتي (ت779هـ/1377م)، رحلة ابن بطوطة المسماة: (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، دار طيبة للطباعة، الجيزة، 2010م، ص171.
(7) المغول والتتر والتتار هي مسميات لشعب واحد يتكون من قبائل متعددة ويعدون جميعاً من الترك، وهم أهل بداوة يتنقلون في مواطنهم من مكان لآخر وسط آسيا، وان تاريخ المغول السياسي بدأ مع ظهور جنكيزخان الذي نجح من استقطاب جموع المغول وربطهم بتنظيمات سياسية وإدارية واجتماعية قدر لها الاستمرار بفضل مهارته وحسن قيادته. ينظر: ابن الأثير، الكامل،ج10، ص335- 336؛ ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت774هـ/1372م)، البداية والنهاية في التاريخ، تحقيق: احمد أبي ملحم وآخرين، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، ج13، ص90؛ العريني، الباز، المغول، دار النهضة، بيروت، 1967م، ص34؛ القزاز، محمد صالح داود، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، مطبعة القضاء، النجف، 1970م، ص6.
(8) الهمذاني، رشيد الدين فضل الله (ت718هـ/1318م)، جامع التواريخ، ترجمة محمد صادق نشأت وآخرين، مطبعة وزارة الثقافة والإرشاد، القاهرة، 1960م، ج1، ص234؛ ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق البغدادي (ت723هـ/1323م)، منسوب إليه، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق بشار عواد معروف وعمار عبد السلام رؤوف، منشورات رشيد، مطبعة شريعت، قم، 1383هـ، ص360؛ خليل، ملاحظات في خطط الحلة، ص35- 36.
(9) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج7، ص357؛

وجود المدينة في هذه المرحلة هو وجود بعض الجوامع والمقامات في الموضع الذي نسأت فيه لأول مرة (نواة المدينة)، وهذا ساعد على جذب السكان والأنشطة الوظيفية حولها فأصبحت تجمعاً حضرياً، وعلى الرغم من كونها مدينة لها سوق ومعسكر ودار للقضاء ومراكز إدارة، إلا انه لا يوجد أي تحديد لمكان هذه الأنشطة أو وصف لمكوناتها أو الطراز المعماري لها ولتحديد مساحتها[1]، وفي المرحلة التالية (مرحلة تأسيس الحلة المزيدية) التي تمتد من اتخاذ الأمير صدقة مدينة الجامعين غرب الفرات موضعاً له ولقبيلته عام 495هـ/1102م وتنتهي بنهاية حكم الإمارة المزيدية عام 545هـ/1150م[2] نجد ان الحلة استمرت باكتسابها مواصفات المرحلة نفسها التي سبقتها وهذا الحال تأثرت به جميع المدن التي تطورت عن قرى قديمة الأصل، وبذلك فان نمط النمو عشوائي غير مقيد بالتخطيط[3]، ويظهر ذلك بصورة واضحة في محلة الجامعين الحديثة والقديمة على الرغم من التحويرات والتبدلات التي أجريت على دورها.

وهناك حدث مهم يميز الحلة السكنية أبان حكم المزيديين هو اتساع المساحة لرقعتها المكانية إذ أوعز الأمير صدقة بتأسيس محلتين سكنيتين أحدهما تقع في الجنوب تسمى (الجامعين) وهي خاصة بالأمير صدقة وحاشيته والأخرى تقع في شمال الحلة وتسمى (الاكراد) وهي خاصة بالمقاتلين الأكراد والمنحدرين من قبائل (الجاوان والشاذنجان) الذين كانوا ضمن جيش الإمارة[4]، وفي المرحلة التي أعقبتها (مرحلة الإدارة العباسية) التي تمتد من عام 545هـ/1150م وحتى عام 656هـ/1258 وعلى الرغم من ان المحلة السكنية لم تشهد تطوراً كبيراً في طرازها المعماري لكنها نمت نمواً كبيراً في عدد سكانها، وذلك اثر الهجرة الواسعة التي نزحت من المدن المجاورة لمدينة قصر بن هبيرة والقرى الواقعة في أعالي الفرات، مما أدى إلى اتساع الرقعة المساحية للمحلة السكنية، وعلى ما يبدو ان محلة الجباوين[5] التي نشأت في منتصف المسافة بين محلة الأكراد والجامعين كانت همزة الوصل التي حققت الالتحام العمراني بين الطرفين ثم محلة القلج[6]، وهذه المحال لازالت تحتفظ بأسمائها في الوقت الحاضر.

وكان النمو خلال هذه المرحلة يستثمر الأراضي المرتفعة من المدينة ولاسيما الأجزاء التي يتراوح ارتفاعها بين 33-34 فوق مستوى سطح البحر، ويبدو ان حدود الجامعين تتسع لتشمل محلتي الطاق وجبران الحاليتين، ويستدل على ذلك من خلال مجاورتها للسوق وكذلك احتوائها على مراقد كثيرة من علماء الحلة ورجالها آنذاك.

2- الشوارع:

لا توجد إشارات في كتب المؤرخين والرحالة إلى شكل المدينة وأبوابها، بل هناك إشارات قليلة يمكن أن نستشف من خلالها شكل المدينة ومعالمها الأخرى، فالحلة "مدينة كبيرة ، عتيقة الوضع مستطيلة ... وهي على شط الفرات يتصل بها من جانبها الشرقي ويمتد بطولها"[7]، وذكر ان الأمير صدقة لما عمّر ارض الحلة 493هـ/1099م وضع لها الدور والأبواب[8]، ومنه يتبين ان هناك عدة أبواب للمدينة ولكننا لا نعلم عددها وعلى الأغلب كانت موضوعة باتجاه المدن القريبة منها مثل بغداد والنجف وكربلاء وغيرها.

ولما تم تمصير الحلة شقت فيها الشوارع والسكك وكان لقصر (دار الإمارة) دورٌ مهمٌ في تخطيط المدينة حيث تتفرع منه الشوارع الرئيسة وتتوزع حوله المنشآت المدنية ومؤسساتها الأخرى كالأسواق والجامع، وأغلب الظن ان هذه الشوارع

(1) ينظر: الجامعين.
(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص132 و ج10، ص146؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص178.
(3) غلاب، محمد السيد، يسرى الجوهري، جغرافية الحضر، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ت، ص375.
(4) ابن بطوطة، الرحلة، ص172؛ ناجي، عبد الجبار، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2001م، ص205.
(5) نشأت محلة الجباويين بعد عام 596هـ/1200م على أثر هجرة جماعة من أهل الأنبار، ينظر: الحلي، تاريخ الحلة، ج1، ص55؛ النجيفي، علي بن الحسين الهاشمي، تاريخ الأنبار، تحقيق ونشر المؤسسة الإسلامية للبحوث، مطبعة ثامن الحجج ﷺ، قم، 1430هـ، ص127؛ وسميت الجباويين نسبة إلى القرية التي تقع في أعالي الفرات المسماة (جبة) وسميت أجزاء منها فيما بعد باسم الهيتاويين نسبة إلى قرية هيت المكان الذي نزح منه بعض سكان هذه المحلة، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص108 و ج5، ص421.
(6) الغياثي، عبدالله بن فتح الله البغدادي (كان حياً عام 891هـ/1486م)، التاريخ الغياثي، تحقيق طارق الحمداني، مطبعة أسد، بغداد، 1975م، ص262.
(7) ابن جبير، الرحلة، ص154.
(8) ابن المطهر، العدد القوية، ص259-260.

تؤدي إلى أبواب المدينة المختلفة، وتتفرع منها عدة دروب كانت تسمى بأسماء المهن أو الأسواق والمحلات حيث يظهر ان قسماً من أصحاب الحرف قد تجمعوا في دروب المدينة وسككها التي عرف بعضها بأسماء حرفية أو مهنية[1].

وقد انعكس مناخ المدينة على طبيعة بناء الدور وأنماطه وكذلك أنماط الشوارع والأسواق لذلك جعلت ضيقة ومتماسكة من اجل الحد من اثر الظروف المناخية صيفاً وشتاءً، وان أشهر ما يميز الحلة هو انتشار بساتين النخيل في مناطقها المختلفة بحيث غدت دورها محاطة بها، وربما كانت هذه البيوت تشكل مجموعات متصلة مع بعضها تفصل بين كل مجموعة وأخرى حدائق النخيل والدروب تخللها[2].

ويصف ابن جبير الطريق الصاعد من الحلة إلى بغداد بأنه: "أحسن طريق وأجملها، في بسائط من الأرض وعمائر، تتصل بها القرى يميناً وشمالاً، ويشق هذه البسائط أغصان، ماء الفرات تتسرب وتسقيها، فللعين في هذه الطريق مسرح وانشراح وللنفس مزاد انبساط وانفساح"[3].

3- الأسواق:

خطة السوق بالحلة كانت على مقربة من المسجد الجامع وقصر الإمارة المزيدية، وفي الحلة أسواق حافلة بالبيع والشراء وقد قصدها التجار فصارت الحلة من أفخر بلاد العراق وأحسنها طوال حكم الأمير صدقة وما بعده [4]، ويصف الرحالة ابن بطوطة سوق الحلة بـ(السوق الأعظم)[5]، وهي إشارة إلى سوق الحلة الكبيرة.

يحتل السوق موقعاً مركزياً مهماً فهو يطل على شاطئ النهر حيث أماكن التفريغ وتحميل السلع والبضائع، ويقع في منطقة تمثل منتصف المسافة بين الجامعين ومحلة الأكراد وهو يقع إلى جانب محور المؤسسات الإدارية ودور الإمارة وكثيراً ما يكونان متلازمين، وعلى ما يبدو ان موقع السوق كان بمعزل عن المحلات السكنية وذلك لمنع تداخل الغرباء مع السكان المحليين.

تخلو المصادر من تحديد مكان السوق الرئيس والمسجد الجامع وأغلب الظن أنهما كانا اقرب إلى الضفة منه إلى الجهات الداخلية من المدينة ليكونا على مقربة من النهر الذي يشكل الطريق الحيوي للذهاب والإياب والنقل التجاري، كما أنهما كانا متجاورين شأنهما شأن معظم المدن الإسلامية ، وكانا يقعان في الضفة الغربية التي أنشأت الحلة في ربوعها وهي تمثل الجانب الأكثر أهمية وقدما اتساعاً من الضفة الشرقية[6].

وقد ذكر ناسخ كتاب صورة الأرض لابن حوقل ان الحلة كانت كثيرة الأسواق[7]، ووصف ابن جبير أسواق المدينة أثناء زيارته لها بأنها "أسواق حفيلة جامعة للمرافق المدنية والصناعات الضرورية"[8]، وهذا يفسر سعة السوق وسرعة نموه عن بداية التأسيس، ويبدو ان أسواق الحلة كانت متخصصة تجمع أصحاب كل حرفة أو مهنة في سوق واحد ويظهر ان في الحلة حوانيت كانت ملكيتها تعود إلى الدولة العباسية ويذكر ان محمد بن عبد اللطيف[9] بن التعاويذي كاتب الحلة (ت640هـ/1242م) سأله بعض أصحابه الذي كان يعمل بزازاً أن يقول على لسانه أبياتاً يسأل فيها التخفيف عن أجرة دكانه فنظم له هذه الأبيات:

يا شَرَف الدَّولة أحسن كما قد خَصَّك اللهُ بإحسانه

(1) ناجي، دراسات، ص140-142.
(2) خليل، ملاحظات في خطط المدينة، ص40.
(3) الرحلة، ص155.
(4) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص294.
(5) الرحلة، ص172.
(6) خليل، ملاحظات في خطط الحلة، ص40-4.
(7) صورة الأرض، ص245.
(8) الرحلة، ص154.
(9) كان كاتباً جيداً حسن الكتابة كيساً متواضعاً تولى وظائف عديدة وكان ذا فضل ويقول شعراً جيداً توفي عام 640هـ/1242م. ينظر: ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص206.

فالعَبدُ ما مَرَّت به شدَّة أصْعب من أُجرة دُكانِهِ[1]

ويذكر ان أسواق الحلة كانت دائمة البيع والشراء[2] وفيها في القرن الخامس الهجري سوق الغزل وكان ضمان نصفه سبعمائة دينار سنوياً، وضمان النصف الثاني ألف دينار سنوياً[3]، وهذه السوق كان متخصصاً بحرفة الغزل وحياكة المنسوجات ويشير أيضاً إلى كثرة محلاته، ومن المحتمل ان هذه الحرفة انتقلت إلى الحلة عن طريق سكان مدينة قصر ابن هبيرة الذين هاجروا إلى الحلة بعد ازدهار المدينة واندثار قصر ابن هبيرة[4].

4- الخندق:

بعد ان اختط الأمير صدقة مدينة الحلة أمر بحفر خندق حولها في عام 498هـ/1104م ليصد هجمات القبائل العربية المجاورة آنذاك للمدينة[5]، وهو يعد من الأمور الدفاعية التي زادت من أهمية المدينة وسرعة نموها كذلك عُدَّ من الملامح البارزة لمدينة الحلة أثناء هذه الحقبة من التاريخ.

5- السور:

لم تزودنا المصادر التاريخية خلال هذه المدة عن وصف مفصل لشكل السور وامتداده الجغرافي ومساحة المنطقة التي يشغلها من الأرض سوى الأوصاف التي جاء بها الرحالة ابن جبير وابن بطوطة عن سور المدينة، وقد ذكر ابن الجوزي ان صدقة بن منصور "عمّر الحلة وجعل عليها سوراً وخندقاً"[6]، وكان تاريخ وضع السور في الحادي والعشرين من رمضان عام 500هـ/ 1107م[7]، لحماية المدينة من هجمات السلاجقة [8]الذين كانوا على صراع دائم مع الإمارة المزيدية وكذلك القبائل المحيطة بالمدينة [9]، ووصف ابن جبير هذا السور عند زيارته للحلة قائلاً: "ولم يبق من سورها إلا حلق من جدار ترابي مستدير بها"[10].

وعلى ما يبدو ان سور الحلة يمتد من حدود الجامعين جنوباً وحتى محلة الأكراد شمالاً ويحده شط الحلة من جهة الجنوب، أما من جهة الغرب فتحده المزارع والبساتين التي تغطي مساحة كبيرة من الحلة.

وفي عام 645هـ/ 1256م تعرضت الحلة للغرق[11]، فمن الطبيعي ان يكون السور من أكثر الأجزاء تعرضا للإضرار ولاسيما ان أسوار المدن آنذاك معظمها مشيدة من الطين المادة الأولية المتوفرة بكثرة في المنطقة.

ثانياً- المنشآت :

1-المساجد والمشاهد:

الجامع الكبير هو أول جامع شيّد في مدينة الحلة من لدن الأمير صدقة بن منصور المزيدي عند بداية تأسيسه المدينة عام 495هـ/1101م، وكان هذا الجامع يقع في وسط الحلة، وقد أشار إليه ناسخ كتاب صورة الأرض لابن حوقل وهو من أهل القرن السادس الهجري ان في الحلة مسجداً جامعاً كبيراً وكان بناؤه حسنا[12]، وهناك مساجد أخرى معروفة

(1) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص206-207؛ الحلي ـ تاريخ الحلة، ج1، ص63-64.
(2) ابن حوقل، صورة الأرض، ص245.
(3) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص365.
(4) ناجي، الامارة المزيدية، ص278؛ خليل، ملاحظات في خطط الحلة، ص41.
(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص236؛ الحلي، تاريخ الحلة، ج1، ص23.
(6) المنتظم، ج9، ص236.
(7) ابن المطهر،العدد القوية، ص260.
(8) السلاجقة: قبائل تركية كانت تسكن في سهول تركستان نزحوا من موطنهم الأصلي إلى بلاد ما وراء النهر ما بين القرن الثاني والرابع الهجريين، عرفوا بالسلاجقة نسبة إلى زعيمهم سلجوق بن دقاق الذي سار باتباعه إلى بلاد المسلمين واعتنقوا الإسلام ثم كونوا دولة وأصبح السلطان طغرليك سلطاناً عليهم ودخلوا بغداد عام 1055/447م، ينظر: الحسيني، أبو الحسن علي بن ناصر (ت622هـ/ 1225م)، أخبار الدولة السلجوقية، اعتنى بتصحيحه محمد اقبال، لاهور، 1933م، ص2؛ ابن الأثير، الكامل،ج8، ص5-6؛ أمين، حسين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، مطبعة دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2006م، ق1، ص19-21.
(9) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص294؛ خليل، ملاحظات في خطط الحلة، ص39.
(10) الرحلة، ص154.
(11) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص346؛ الحلي، تاريخ الحلة، ج1، ص66.
(12) ابن حوقل، صورة الأرض، ص245.

في المدينة منها مشهد الشمس[1][2]، ومسجد صاحب الزمان الذي أشار إليه الرحالة ابن بطوطة بقوله: "بهذه المدينة مسجد على بابه ستر حرير مسدول، وهم يسمونه مشهد صاحب الزمان"[3]، فضلاً عن مساجد أخرى في المدينة والمناطق التابعة لها[4].

كان للمساجد دورٌ في العبادة وتقام بها الصلاة والشعائر الدينية الأخرى، كما وأصبحت من المؤسسات المهمة في التعليم[5]، ففيها كانت تقام حلقات الدرس إذ لا توجد في المدينة خلال هذا العصر مدرسة ذات صفة رسمية على الرغم من انتشار المدارس في بقية مدن العراق، ويعود سبب ذلك إلى طبيعة مذهب الإمامية وإلى دارساتهم الفقهية التي كانت بعيدة عن حاجات الحاكمين ورغباتهم[6]، وكانت حلقات الدرس أيضاً تقام بالقرب من الأماكن المقدسة في الحلة كمشهد صاحب الزمان الذي كان مقدساً من لدن أهلها[7]، وذكر ان نجيب الدين محمد بن جعفر[8] بن هبة الله بن نما قام في عام 636هـ/1238م بتعمير بيوت الدرس إلى جانب هذا المشهد وأسكنها جماعة من الفقهاء[9].

2- قصر أو (دار الإمارة):

بعد تمصير الحلة على يد بني مزيد عام 495هـ/1101م لجأ الأمير صدقة ابن منصور المزيدي إلى بناء الدور والقصور له ولحاشيته[10]، ولا توجد إشارة إلى مكان القصر (دار الإمارة) أو بقايا آثاره ولكن يمكن تحديده في الطرف الشمالي من الجامعين[11]، ويكون موضع السوق في الطرف الشرقي منه وكذلك الجامع الكبير وبالتحديد يقع حالياً في شارع الإمام علي عليه السلام وفي المكان نفسه الذي يحتوي على مدافن آل مزيد مؤسسي الحلة، وعلى ما يبدو ان البنية الإدارية للمدينة كالدواوين والمؤسسات الإدارية الأخرى وأماكن الحاشية والحرس كانت تتركز حول قصر (دار الإمارة) في مركز المدينة.

3- جسر الحلة:

يعد الجسر الذي أمر الخليفة العباسي الناصر لدين الله بتشييده عام 580هـ/1184م من أبرز المعالم العمرانية التي ميزت المدينة عن المراحل اللاحقة، فكثير من الرحالة العرب أفاضوا في وصف طريقة تشييده وقد وصفه ابن جبير بقوله: " ألفينا بها [الحلة] جسراً عظيماً معقوداً على مراكب كبار ، متصلة من الشط إلى الشط، تحف بها من جانبها سلاسل من حديد، كالأذرع المفتولة عظماً وضخامة، ترتبط إلى خشب مثبتة في كلا الشطين ، تدل على عظم الاستطاعة والقدرة"[12].

---

(1) مشهد الشمس: هو مقام ينسب إلى أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام في بابل (الحلة) عند وروده من صفين وقيل النهروان، وقد عمل أمير الحلة على إعادة أعماره في أيام الفقيه ابن نما الحلي. ينظر: العلامة الحلي، جمال الدين الحسن بن يوسف (ت726هـ/1325م)، كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين، تحقيق علي آل كوثر، نشر مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم، 1413هـ، ص 478-479؛ وفي هذا المكان رجعت الشمس إلى الإمام علي عليه السلام لما أراد أن يعبر الفرات ببابل. ينظر: المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، مطبوعات دار الأندلس، بيروت، 2009م، ص162؛ الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري (ت413هـ/1022م)، الإرشاد، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر، بيروت، 2008م، ص173.

(2) الهروي، أبو الحسن علي بن أبي بكر (ت611هـ/1214م)، الإشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، ص76؛ الحسني، عبد الرزاق، العراق قديماً وحديثاً، ط3، د.م، 1958م، ص144.

(3) الرحلة، ص172.

(4) كمال الدين، هادي السيد احمد، فقهاء الفيحاء، مطبعة المعارف، بغداد، 1962م، ج1، ص72.

(5) أمين، احمد، ضحى الإسلام، ط10، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت، ج2، ص52.

(6) آل ياسين، محمد مفيد، متابعات تاريخية لحركة الفكر في الحلة،دار المثنى للطباعة، بغداد، 2004م، ص58-59.

(7) ابن بطوطة، الرحلة، ص172.

(8) كان عالماً فقيهاً جليلاً روى عن والده ومحمد بن إدريس وعنه روى سديد الدين يوسف بن المطهر الحلي والمحقق الحلي وغيرهم. ينظر عنه: الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن (ت1104هـ/1692م)، تذكرة المتبحرين في العلماء المتأخرين، مطبعة الآداب، النجف، 1385هـ، ص310؛ الحلي، تاريخ الحلة، ج2، ص15-16.

(9) البحراني، يوسف بن احمد، لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم رجال الحديث، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، مطبعة النعمان، النجف، 1966م، هامش 16، ص272.

(10) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص294.

(11) اعتاد العرب في تخطيط مدنهم ان يكون الجامع والقصر والسوق في دائرة واحدة تمثل مركز المدينة ليكون على مقربة من دور الحرس. ينظر: الموسوي، مصطفى عباس، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982م، ص119.

(12) الرحلة، 154-155.

لقد عقد الجسر في مكان يقابل سوق المدينة وتمثل هذه المنطقة تخصر ضيق في مجرى النهر مما يقلل من سعته وإمكانية التشييد عليه، وللجسر آثاره المهمة على المدينة فهو يساعد على جذب طرق النقل باتجاه الحلة مما زاد من أهميتها كمحطة للحجاج وكمركز للقوافل التجارية[1]، وساعد على ربط جانبي الحلة بعضها بالآخر، كما ساعد على إيصال المنتجات الزراعية للمدينة المتزايدة السكان، وأثره في جذب المهاجرين من الأقاليم الزراعية والقرى المجاورة، باتجاه الحلة وذلك بسبب نشاط الحركة التجارية وهذه الأمور جميعها تطلبت المزيد من الوظائف للمدنية مما زاد من سرعة نموها واتساع مساحتها.

4- قصر الخليفة المستعصم بالله:

شيد هذا القصر في علم 641هـ/ 1244م بعدما أمر الخليفة المستعصم بالله (640-656هـ/ 1242-1258م) بإنشاء دار له في الحلة عندما كان عائداً من وداع والدته وهي قاصدة الحج في ذلك العام، وكان هذا القصر مطلاً على شاطئ الفرات ليقضي بعض أيام السنة فيه متمتعاً بطلاقة هوائها وأريج نسيمها[2]، وقد ذكر ابن الفوطي في عام 650هـ/1252م ان المستعصم بالله توجه إلى واسط مُتنزهاً ثم سار إلى الحلة وأقام في هذا القصر ثلاثة أيام وعاد إلى بغداد[3].

5- المارستان[4]:

أشار ابن الفوطي ان مجد الدين[5] ابو جعفر إسماعيل بن الياس بن عبدالله المعروف بالكتبي البغدادي (ت688هـ/ 1289م) انشأ مارستاناً على شاطئ الفرات بالحلة[6]، وعقد ضمان الحلة على مجد الدين عام 686هـ/1287م إضافة إلى توليه نيابة الديوان والحكم في بغداد[7]، وقد وصفه صاحب الحوادث بأنه "كان من محاسن الزمان عالماً فاضلاً أديباً سخياً كريماً يكتب خطاً جيداً ويقول الشعر"[8].

الخاتمة

تناول البحث دراسة تخطيط مدنية الحلة وتطورها العمراني منذ بداية تأسيسها حتى نهاية العصر المغولي وقد توصلت الدراسة إلى جملة من الاستنتاجات يمكن إجمالها بالآتي:

1- ان مدينة الحلة مرت بعدة مراحل منها مرحلة النشأة وهي تمثل بمدينة الجامعين وتمتد من القرن الأول الهجري حتى مدة تمصير الحلة عام 495هـ/1101م، والمرحلة الثانية فهي مرحلة تأسيس المدينة على يد الأمير صدقة بن منصور المزيدي، أما المرحلة الثالثة تمتد من نهاية حكم الإمارة المزيدية عام 545هـ/1150م حتى عام 656هـ/1258م واستمرت في العصور اللاحقة.

2- ان تأسيس مدينة الحلة قام على أساس تطوير مدينة الجامعين ثم اختط الأمير صدقة الدور ووضع الأبواب، وكانت المدينة تتألف من محلتين هما الجامعين والاكراد، وأنها محاطة بسور وفيها مسجد جامع وعدد من المساجد في مناطقها ثم الأسواق وغيرها.

(1) ابن جبير، الرحلة، ص155؛ياقوت الحموي، معدم البلدان، ج2، ص294.
(2) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص215؛ الحلي، تاريخ الحلة، ج1، ص63.
(3) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص304.
(4) البيمارستان: بفتح الراء وسكون السين، كلمة فارسية مركبة من كلمتين (بيمار) بمعنى مريض أو عليل أو مصاب و(ستان) بمعنى مكان أو دار فهي تطلق على دار المرضى ثم اختصرت في الاستعمال فصارت مارستان. ينظر: عيسى بك، احمد، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، المطبعة الهاشمية، دمشق، 1939م، ص4.
(5) ولد مجد الدين في بغداد ونشأ وتأدب فيها وواصل دراسته حتى علا أمره وتولى أمر العراق عام 685هـ/ 1286م، قتل في الحادي والعشرين من رجب عام 688هـ/ 1289م. ينظر: ابن الفوطي، مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق محمد الكاظم، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، 1416هـ، ج4، ص401-402؛ الحوادث الجامعة، ص495.
(6) ابن الفوطي، مجمع الآداب، ج4، ص401.
(7) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص490.
(8) المصدر نفسه، ص495.

3- شهدت مدينة الحلة في مرحلة الخلافة العباسية تطوراً عمرانياً ملحوظاً حيث تم إنشاء جسر الحلة الذي كانت له أهمية كبيرة للمدينة في ربط جانبيها الشرقي والغربي فضلاً عن أهميته التجارية، ثم بني فيها قصر الخليفة المستعصم بالله، وظهرت فيها محال أخرى مثل الجباويين وغيرها، وشهدت بعد العصر العباسي ظهور محلات أخرى وتم إنشاء مارستان فيها.

4- أما نمط الشوارع والأزقة في محلات المدينة فكانت على ما يبدو تفتقد إلى التخطيط إذ كانت عبارة عن أزقة ملتوية وضيقة ومغلقة في بعض الأحيان، وكان هذا النمط متأثراً بالأسوار ثم شهدت المدينة توسعاً في مساحاتها وبنائها بعد ذلك مع الاحتفاظ بهذا النمط في محلاتها القديمة.